ملخص البحث بالعربي:

إن أثر المنمنمة على الفن الأوربي الحديث هو الأساس الذي يقوم عليه هذا البحث، انطلاقاً من عدة نقاط، أهمها، أثر القيم التشكيلية والجمالية والتعبيرية للمنمنمة على التصوير الأوربي الحديث، ودراسة أسلوب أهم الفنانين الأوربيين الذين استفادوا من العناصر التشكيلية للمنمنمة ومعانيها بما ينسجم مع لغتهم الفنية في العصر الحديث. وكانت منمنمات العصر الإسلامي هي نقطة انطلاق هذا البحث، والتي تطورت بفعل مؤثرات فنية سبقتها وعاصرتها وكان لها أيضاً دورها المحوري في التأثير على المدارس الفنية الأوروبية وعلى فنانيها.

ولفهم المنمنمة بأبعادها المتعددة، كان لابد من تعريفها أولاً، ومن ثم التوقف عند نشأتها، وهذان العنوانان هما بمثابة مدخلين لموضوع هذا البحث.

وكان عنوان الفصل الأول: المنمنمة، وفيه عدة مباحث، هي: أولاً، تعريف المنمنمة، وفيه ذكرت الباحثة التعاريف المتعددة للمنمنمة التي تعتبر من الأساليب الفنية المهمة، والتي حاولت تصوير الواقع والحياة الاجتماعية والذات الإنسانية، إما بلغة مباشرة أو بلغة رمزية غير مباشرة، واستطاعت أن تستوعب جميع الأساليب والأنواع والتقنيات الفنية والأشكال والقيم الفنية والجمالية، إلى أن صارت فناً قائماً بذاته. لذا تم تحديد بعض من التعريفات التي تعمل كمفاتيح وأدوات لفهم مصطلح المنمنمة فهماً أقرب إلى حقيقتها.

والمبحث الثاني، نشأة المنمنمة: ورُصدت فيه أهم المحطات التي يمكن تصورها عن فن المنمنمة أثناء تبلوره. حيث إن تاريخ نشأة المنمنمة تاريخ شائك ويمتد إلى قرون طويلة خلت. وهناك العديد من التأثيرات الثقافية على هذا الفن، منها العربية، واليونانية، والإيرانية، والصينية، والمغولية، والهندية، والتركية، والعثمانية، والحديثة، كما أنها قد أثرت على المدارس الفنية المعاصرة.

وجاء المبحث الثالث بعنوان أهم المؤثرات على فن المنمنمة: لتوضيح أبرز المؤثرات التي ساهمت في تكوين ملامح فن المنمنمة. ومنها: المؤثرات الصينية، والبوذية، والإيغورية، والهلنستية.

أما المبحث الرابع: مدارس فن المنمنمة في العصور الإسلامية، ويتحدث عن أهم المدارس في سبيل تحديد سمات وخصوصية كلٍ منها وأهمها:

١- المدرسة العربية، أو مدرسة بغداد: تعود هذه المدرسة للقرن الثالث عشر. وهي مدرسة تغلب عليها الرسوم الآدمية بما فيها من حياة وقوة لا تهتم بتفاصيل أجزاء الجسم، ولا بتفاصيل التشريح ولا بالتزام النسب بين الأعضاء، ولا بمظاهر العواطف والانفعالات.
٢- المدرسة التيمورية: أكثر ما يميزها هو التسطيح والاهتمام برسم الطبيعة وبرسم العمائر في خلفية الصورة بدقة، وتأنق، وملئ مساحاتها بالزخارف الهندسية والنباتية المورقة.
٣- مدرسة هراة: انصهرت الأساليب المقتبسة في بوتقة الأسلوب الفني الجديد للمنمنمة لتخلق أسلوباً فنياً مميزاً في هذه المدرسة. وكانت أهم حواضرها سمرقند وهراة وشيراز.
٤- المدرسة الصفوية: تميزت المنمنمة الصفوية بكونها فن دنيوي – مع بعض الاستثناءات اهتمت بتصوير حياة الحكام والشاهات، ورسم الملاحم والبطولات من خلال المصادر الأدبية.
٥- المدرسة العثمانية: بالرغم من التأثيرات والأساليب التي ظهرت في المنمنمة العثمانية، إلا أنها استطاعت أن تجد لها مكاناً خاصاً وأن تتميز عن المنمنمة الفارسية، والمغولية والإيغورية وغيرها وكانت موضوعاتها غالباً تاريخية تحكي عن الأحداث التي شهدتها الامبراطورية.
٦- المدرسة الهندية المغولية: نشأ فن المنمنمة الهندية من امتزاج الفنون الهندية والصينية والعربية وتطور تحت رعاية الحكام والأباطرة المغوليين.
٧- المنمنمات الحديثة (تجربة محمد راسم نموذجاً): حافظ الكثير من الفنانين على هذا الفن الفريد والمميز، ونذكر منهم الفنانة إيمان المطيري والفنان راسم الجزائري الذي سعى منذ بداياته للتوفيق بين أسلوب المنمنمات وأسلوب لوحة الحامل.

أما الفصل الثاني، القيم التشكيلية في المنمنمة: فيتناول القيم التشكيلية (الإيقاع والتكرار، والتوازن، والتقابل وغيرها) للمنمنمة المصورة في دراسة تستند إلى معرفة بالعناصر التشكيلية (الخط، واللون، والمنظور، والفراغ، والتكوين، والتجريد، والزخرفة والتصميم) وعلاقة كل ذلك بالقيم الجمالية والفنية والتعبيرية في المنمنمة.

فالعناصر التشكيلية تؤلف المفردات الرئيسية لبناء العمل الفني، والطريقة المنظِمة لها هي التي تميز الأعمال الفنية الواحدة عن الأخرى، وتلك الطريقة هي ما تنطوي عليها القيم التشكيلية.

ولا شك أن ما ينسحب على الفنون التشكيلية ينسحب على فن المنمنمة، وإن كانت بتنظيم وأسلوب مختلفين. فمعلوم، أن المنمنمة مثل الفنون الأخرى تشترك في تصميمها مع عناصر تشكيلية، يتحقق من خلال علاقاتها التشكيلية قيماً تؤسس عليها وحدة العمل بما يتفق مع المضمون والفكرة.

من أهم هذه القيم:

١- الإيقاع: الذي يمثل علاقة الجزء بغيره في العمل الفني.
٢- التكرار: وهو تشكيل العمل من وحدات بصرية لا تحمل أية دلالة فكرية ولكنها تحمل دلالة عندما تدخل في نسق تكراري.
٣- التقابل: فهو يعني وضع عناصر غير متشابهة كل مقابل الآخر بحيث تكون منسجمة رغم تباينها.
٤- الترابط أو الوحدة في التنوع: فالعناصر الفنية المتنوعة في العمل الفني تحتاج لعنصر الوحدة كقيمة توحد بينها. ودون الوحدة تصبح الكثرة نوعاً من الفوضى والتشويش.

أما العناصر التشكيلية المؤسسة للعمل الفني، فهي:

١- الخط: ويعرف هندسياً بأنه الأثر الناتج عن تحرك نقطة. ويعبر به الفنان عن الحركة ويوحي بالكتلة ومن خلاله يمكنه ضبط التكوين وإظهار ملامحه الفنية وهو العنصر الممهد للعناصر الأخرى بالإضافة إلى طاقته التعبيرية.
٢- اللون: وتوصف أهميتة، بالتدرج والقيمة والقوة. وله إمكانيات تعبيرية وجمالية كبيرة، ومن الألوان ما هو بارد ومنها ما هو دافئ ومنها ما هو أساسي ومنها ما هو حيادي.
٣- المنظور: فيختلف في المنمنمة عن المنظور الأوربي من حيث تناوله للكتلة والفراغ والبعد والقرب والنسبة والتناسب. فهو مرتبط بثقافة وعقائد الشعوب.
٤- الفراغ فينتج من خلال تداخل وشفافية الأشكال، أوعن طريق استعمال الألوان حيث تبدو بعض أجزاء الصورة قريبة وبعضها يبتعد. وكذلك عن طريق التغيير في الحجم

بالنسبة لشكل عن آخر. بتكامل أشكال معينة في مقدمة الصورة والبعض الآخر في مؤخرتها. وعنصر الفراغ له جذور أيضاً في العقائد ورؤية الوجود.

٥- التكوين: فهو أساس البناء الفني وتسانده بقية العناصر التصميمية. وهو عموماً حصيلة التفاعل بين الكتلة والفراغ.

٦- الزخرفة والتصميم: الزخرفة من العناصر التي تكثر في المنمنمة، وتكون إما كجزء من التكوين وإما كإطار يحيط بالتكوين. وتشمل الزخرفة عناصر عديدة تعتبر ركيزة أساسية في تكوين المنمنمة، وأهمها:

- العناصر الحيوانية والآدمية.
- العناصر الكتابية.
- العناصر النباتية.
- العناصر الهندسية.

٧- التجريد: هو أسلوب فني جديد يقوم على تصوير فكر فنان أو شعوره دون محاكاة موضوع معين. والتجريد في الفن الأوربي يختلف بمفهومه عن الفن الإسلامي فالتخلي عن الموضوع يعني العبث وهو مرفوض في المنهج الإسلامي، حتى الزخرفة لا تخلو من الموضوع فموضوعها هو التزيين. وينقسم الفن التجريدي إلى قسمين أساسيين

١-التجريدية الهندسية: ويعد موندريان من أهم روادها حيث تحمس للشكل الهندسي النقي خاصة المستطيل٢- التجريدية التعبيرية: وأهم روادها كاندنسكي.

وقد حقق مصور المنمنمات من خلال تلك العناصر أسساً جمالية وتشكيلية لقيم التصميم الخاصة بالمنمنمة ومثلها خير تمثيل في وحدة عضوية وتأليف فني بين كل الأجزاء المشتركة.

وأما الفصل الثالث، فيتناول أثر القيم التشكيلية للمنمنمة على التصوير الأوروبي الحديث وعلى فنانيه: ويشرح الأسباب التي جعلت المنمنمة تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في فن التصوير الأوربي الحديث. مثل الاستشراق، ومعارض فنون الشرق والفن الإسلامي في اوروبا، وكذلك أزمة الفن الأوربي الحديث.

وينقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين، الأول، بعنوان أثر المنمنمة على مدارس التصوير الأوروبي، وذكر فيه بعضاً من مدارس الفن الأوربي وهي:

١- المدرسة الوحشية: مدرسة فنية بدأت في أوائل القرن العشرين، وكان اللون فيها الوسيلة الأساسية للتعبير، والشكل فيها عفوي، طفولي، بسيط. وتذهب هذه المدرسة إلى التركيز على جوهر الفكرة أو الشكل. ولقد لجأ فنانوها إلى استخدام الألوان الصارخة، وأهملوا الرسم والتأليف، وقاموا بتحريف الخطوط وتحطيمها. واهتموا بالضوء المتجانس والبناء المسطح. وكانت أعمالهم أشبه بالفن البدائي. فصورهم ذات صلة وثيقة من حيث التجريد أو التبسيط بالفن الإسلامي. فقد كانت الفنون الإسلامية إحدى مصادرها الأساسية في فنها، حيث تأثرت باللون، والبحث نحو المطلق وعزوف تدريجي عن النسبي والواقعي.

٢- المدرسة التعبيرية: تقف هذه المدرسة على نقيض مع الانطباعية، فهي تصدر عن انفعال باطن يطغى على الوجدان فينعكس على اللوحة، دون التقيد بالطبيعة أو المنظورات الواقعية.

وقد سعت التعبيرية جاهدة إلى توضيح القيمة التعبيرية في العمل الفني. والمنمنمة في كونها تندرج تحت الفنون التشكيلية، ولها فلسفتها وأساليبها، فهي أيضاً تملك القدرة التعبيرية لخلق أشكال تعبيرية تحاكي الحالات النفسية وتعكس الجوهر، وفق القيم التشكيلية التي سبق ذكرها.

٣- جماعة الأنبياء والرمزية: إن رسوم جماعة الأنبياء توحي ولا تعرف. وترتكز على مفهوم جمالي وتزييني محض. وعلى مبادئ تقنية جديدة في اللون والموضوع. إن غاية الفن عندهم هي جعل الطبيعة مثالية من خلال ادخالها ضمن إطار رياضي صوفي. وبذلك يلتقي جماعة الأنبياء مع مصوري المنمنمات في بلدان الشرق وآسيا قديماً. حيث كانوا يرسمون منمنماتهم بوحي من القصائد الصوفية. كذلك يتلاقون في إعطائهم الأهمية الكبرى للحدس. وفي رؤيتهم الشاملة للكون والإنسان والطبيعة.

٤- المدرسة السريالية: تهدف إلى التعبير عن النفس بعيدا عن الرقابة التي يفرضها العقل الواعي فالسريالية تهدف إلى البعد عن الحقيقة وإطلاق الأفكار اللاواعية والتصورات الخيالية وسيطرة الأحلام. وهي تلتقي مع فن المنمنمات في رؤيتها الكونية الشاملة للوجود وما وراء الوجود والإنسان والكون. والمنمنمة منذ نشأتها كانت على طرف نقيض مع الفن الغربي من حيث الروح والجوهر، وبالتالي من حيث الشكل والمظهر.

٥- المدرسة التجريدية: تتميز هذه المدرسة باهتمامها بإظهار جوهر الأشياء، وإبراز الجانب الروحي للفنان وتمثيل رؤيته، وانفعاله بصورة مخالفة للواقع، بالإضافة إلى إلغاء المنظور والاتجاه نحو البساطة والبعد عن التفاصيل. وكذلك يتعبر التجريد من أبرز سمات المنمنمة.

وأما القسم الثاني من هذا الفصل فهو بعنوان: أثر المنمنمة على فنانين أوربيين من العصر الحديث. وقد خصصت هذه الفقرة لأهم الفنانين الذين استوحوا (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) من الفنون التي تنتمي إلى الشعوب الأخرى، (خاصة المنمنمة)، وهم:

١- هنري ماتيس: من أهم فناني العصر الحديث، وهو زعيم المدرسة الوحشية. اتجه إلى أسلوب التسطيح، والمبالغة في التحرر من التقاليد المتبعة . وثمة مناسبتان هامتان كان لهما دور كبير في إثارة اهتمام ماتيس بالفن الشرقي وخاصة المنمنمات هما معرض ميونيخ ومعرض باريس للفن الإسلامي ١٩٠٩م. فقد وجد في الفن الإسلامي وبشكل خاص المنمنمات، معينا أثرى حسه الزخرفي وكشف له عن أسلوب جديد في التركيب الفني والبناء الجمالي.

٢- بول كلي: عبر كليه إن كان بفلسفته أو من خلال لوحاته عن الراحة، فكل ما قدمه كان يصدر عن رغبة في إزاحة كابوس القانون والواجب والنظام، فقد وجد في الفن الشرقي متنفساً له، ليس لكونه بعيداً عن النظام بل لأن جوهره يقوم في حد ذاته على الإطلاق والشمول وعدم الحصر. وهكذا كان كليه بما يمثله من ظرف حضاري قلق، ومن حنين قوي نحو القديم والغامض الأصيل، الفنان الذي أكمل رسالة الفن الشرقي، وأوصلها إلى العصر الحديث متجاوزاً كثير من الانحرافات التي وقع فيها الفن الحديث.

٣-بيت موندريان: وهو رائد التجريدية الهندسية. كان يسعى لإيجاد علاقات بين العناصر الهندسية وبين الألوان. وحاول أن يجعل من فن الرسم مجرد تنظيم صوري أو شكلي يعتمد على تجريد أنواع الانسجام وألوانه الكامنة في اللون الطبيعي، و أعمال موندريان بتقاطعاتها الحادة مابين الخطوط العمودية والأفقية تتضمن قيماً تشكيلية مثل التقابل والتوازن والارتباط والثبات وهي قيم نلمسها في فن المنمنمات، و مايجمع أسلوب

موندريان مع فن المنمنمة بشكل أساسي هو الحدس والبحث عن جوهر نقي خال من الشوائب.

٤ – فاسيلي كاندنسكي : وهو رائد التجريدية التعبيرية، الذي حاول الارتقاء بالفن إلى مستوى الموسيقى، تاركاً الأشكال الطبيعية باحثاً عن القيم المجردة التي اعتبرها أقدر على التعبير عن الحقائق النفسية والعاطفية. وكان شغوفاً بالبحث في فنون الحضارات القديمة ليقتبس منها أشكال ورموز تزيد من غموض مفرداته الفنية. من هذه الفنون كانت فنون الشرق التي نلمس بعض ملامحها في المسحة الصوفية الروحانية والعلاقات اللونية الصريحة المتآلفة والخطوط الواضحة التي تحدد الأشكال في تناغم وانسجام في بعض أعماله، والمهارة العالية في ضبط التكوين. وكل ذلك بالإضافة إلى بحثه عن الجوهرالخالص، يقربه من روح المنمنمة

وأما الفصل الرابع والأخير، فقد تناول تجربة الباحثة الخاصة المتأثرة بأشكال المنمنمة، وحاولت من خلالها البحث عن علاقة مشتركة تجمع بين المنمنمة بقيمها المعروفة وبين اللوحة التصويرية / الحامل بقيمها المعروفة أيضاً. وتجسدت هذه المحاولة في مجموعة من الأعمال التصويرية الخاصة كانت صداً للمنمنمات (شكلاً ومضموناً).